

## في كتاب عن سياسة بريطانيا في الشرق الاوسط بعد تفجيرات نيويورك

# باحثة بريطانية: توني بلير خسر مصداقيته بمواقفه في لبنان والعراق وفلسطين

لندن - «القدس العربي» - من سمير ناصيف:

صدر مؤخرا عن المعهد الملكي للشؤون الدولية في لندن «تشتاهام هاوس»، بالاشتراك مع دار النشر (وايلي بلاكويل) كتاب للدكتورة روزماري هوليس، المديرة الاستاذة حاليا في جامعة «سبتي» للشرق الاوسط في العهد، والاساتذة الدولية في جامعة «سبتي» يونيفرستي» في العاصمة البريطانية، يمكن اعتباره من افضل ما كتب عن السياسة الخارجية البريطانية في ظل قيادة رئيس الوزراء العمالي السابق توني بلير.

هذا الكتاب بعنوان «بريطانيا والشرق الاوسط في حقبة 2001/9/11»، شمل عرضا تاريخيا للسياسة الخارجية البريطانية منذ فترة الامبراطورية في منتصف القرن التاسع عشر، وعلاقة بريطانيا بالشرق الاوسط والوضع التي تركتها بريطانيا لامريكا، التي اصبحت الدولة الغربية الاكثر نفوذا في المنطقة منذ منتصف خمسينات القرن الماضي، واضطرت بريطانيا، بعد ذلك، للقيام بدور مرادف لها ومتعاون معها.

الكتاب ضم فصلا تسعة، وركز بشكل اساسي على خيارات حزب العمال الجديد بقيادة بلير، ومن بعده غوردون براون، في السنوات الـ13 الاخيرة التي قاد خلالها بريطانيا، وبالتالي اكتسب اهمية كبرى في فترة تجري خلالها انتخابات اشرعية ستحدد مصير بريطانيا السياسي في السنوات الخمس المقبلة على الاقل.

ولعل الفصلين السابع والثامن في الكتاب ضمنا تحليلات شديدة الالهية للفترة الحالية اذ يتطرق الفصل السابع الى عملية السلام في الشرق الاوسط بعد تفجيرات 11 ايلول (سبتمبر) 2001 في نيويورك وواشنطن، والفصل الثامن الى علاقة بريطانيا بدول الخليج العربي.

ففي مقطع تناولت فيه هوليس موقف توني بلير ازاء الهجوم الاسرائيلي العسكري على لبنان في صيف عام 2006، قالت ان «بلير خسر مصداقيته وسمعته كسياسي معتدل في المنطقة عندما اتخذ موقفا الى جانب الموقف الامريكي المؤيد لما فعلته اسرائيل في لبنان في صيف عام 2006 خلافا لمواقف القادة الاوروبيين الآخرين ولوقف الامين العام للامم المتحدة. ولم ينتقد بلير رد الفعل العسكري المبالغ فيه من جانب اسرائيل على لبنان بعد تحريض من حزب الله اللبناني، كما رفض الدعوة الى وقف اطلاق نار قوري لحماية المدنيين اللبنانيين والاسرائيليين،

حتى عندما دعت مجموعة من نواب الصوف الخلفية في حزبه الى فعل ذلك، وخصوصا عندما تفاقمت العمليات العسكرية وازدادت ضحاياها». (ص 152). وهذا الموقف التخاذل في شجب العنف المبالغ فيه ضد المدنيين فهمته اسرائيل، حسب المؤلفة، يانه «يشكل ضوئا لاضرار عملياتها العسكرية حتى تحقق غاياتها قبل الاعلان عن وقف اطلاق النار».

كما اشارت هوليس الى المناسبة التي انفضح فيها بلير وهو يكلم بوش الابن في احدى المناسبات حيث قال له: «اذا ذهبت كوندوليزا رايس الى المنطقة فعليها تحقيق نتائج ناجحة، اما انا فساذهب للكلام والتفاوض فقط».. (ص 153).

وهذه الوقائع اكتسب اهمية خاصة في هذه الفترة حيث تحول وزير الخارجية الامريكية هيلاري كلينتون (صديقة بلير) ويسعى الوزير الاول في وزارة غوردون براون البريطانية بيتر مندلسون، المشرف على حملة الحزب الانتخابية، الى جانب الاختصاصي الاعلامي اليستر كامبل، اعادة احياء دور توني بلير، ودعم دوره الجديد كمنسق لنشاطات اللجنة الرباعية في الشرق الاوسط وكسياسي «صفتح» عن خصمه السابق غوردون براون.

واكدت هوليس في الفصل الذي تناولت فيه مواقف بلير ازاء الغزو الاسرائيلي للبنان في صيف عام 2006 ان «امريكا واسرائيل لم ترغبا في نجاح المفاوضات التي توسط فيها الملك السعودي عبدالله بن عبدالعزيز بين منظمي حماس وفتح في شباط/فبراير 2007، والتي تم التوصل خلالها الى اتفاقية مكة» حيث وافقت حماس على الاعتراف بالاتفاقيات السابقة وعلى نشوء حكومة وحدة وطنية. كما تعطلت الجهود السعودية لاعادة احياء المبادرة العربية التي قدمت في مؤتمر القمة العربية في بيروت عام 2002». (ص 155). وهذا حسب تقييماها، ساهم في التمهيد للمواجهة العسكرية بين حماس وفتح في صيف عام 2007، التي احدثت شرخا بين القبايات الفلسطينية مستمرا حتى الساعة.

وكان الامر المفاجئ، حسب المؤلفة، انه بعد هذه المواجهات الدامية بين حماس وفتح، تم تعيين توني بلير مبعوثا للجنة الرباعية الى فلسطين بعد استقالته من منصبه كرئيس الوزراء البريطاني في حزيران/يونيو 2007، حيث تمت هذه الخطوة الاستباقية من دون التشاور مع جميع اعضاء اللجنة الرباعية، حسب قولها (ص 156) وما حدث بالفعل كان ان

«وزيرة الخارجية الامريكية آنذاك كوندوليزا رايس استمرت بالقيام بالدور الرئيسي فيما لعب بلير دورا ثانويا». ولعل هذا ما يحدث حاليا بين هيلاري كلينتون وبلير، حيث يستخدم بلير الآن كما استخدم سابقا وتراجع سمعته بازدياد بعدما رايجعت بما فيه الكفاية بسبب دوره السلبي في حرب العراق وفي حرب اسرائيل على لبنان، ومع ذلك يستمر بيتر مندلسون، قائد حملة غوردون براون الانتخابية، في استخدام بلير لاستقطاب اصوات البريطانيين في الانتخابات الاشرعية، اما الفلسطينيون والعرب فيدركون، حسب هوليس، ان «تعيين بلير مبعوثا للرباعية هدفه دفع الفلسطينيين لقبول سياسيات تخدم مصالح اسرائيل وامريكا على حساب مصالح العرب والفلسطينيين» (ص 157).

اشارت هوليس الى ان انتخاب باراك اوباما رئيسا لامريكا اعاد الامل في احياء السلام الفلسطيني الاسرائيلي. ولكن انتخاب بنيامين نتنياهو رئيسا لوزراء اسرائيل في عام 2009 احبط هذه الامل وجعلها محدودة.

وبالنسبة لغزو العراق في عام 2003، قالت هوليس في كتابها: «ان بريطانيا بقيادة بلير لم تشارك في الغزو فقط لارضاء واشنطن بل لأن بلير اعتبر نفسه ارسانيا لتحرير الشرق الاوسط من الديكتاتوريات.. ولكنه لم يدرك بان عملية اتخاذ القرارات في واشنطن كان يقوم بها مكتب نائب الرئيس (ديك تشيني).... وبالتالي ارتكز بلير على علاقته الجيدة بالرئيس بوش الابن ووزير خارجيته كولن باول ومستشارته لشؤون الامن القومي كوندوليزا رايس ولم يدرك اساسية الدور الاخر لديك تشيني ومستشاريه في واشنطن» (ص 180).

وهكذا فان «دور بريطانيا في العراق كان، حسب رايها، ثانويا، وكانت الشريك الاصغر وساهمت في تعزيز هيمنة المحافظين الجدد الامريكيين في العراق وفي المنطقة». وكان حسب تقييماها، «من الافضل ان تتخذ بريطانيا موقفا اكثر حذرا لربما ادى في النهاية الى حل متعدد الاطراف وتحالفات مفيدة بدلا من المواقف المتسرعة التي اعتمدت» (ص 180).

واستنتجت بان قرار حكومة بريطانيا بقيادة بلير المشاركة في الحرب على الارهاب (بقيادة بوش وتشيني) من دون طرح التساؤلات «اى الى احداث انقسام في الشرق الاوسط بين اولئك الذين هم معنا والآخرين الذين يعادوننا، ويدعمون الارهاب، اى الذين يواجهون ويعارضون سياسات امريكا،

(ص 181).

ورأت هوليس ان «قرار الناخبين الامريكيين انتخاب باراك اوباما رئيسا لهم في عام 2008 اكد رغبتهم في التغيير الجذري للسياسات التي اعتمدها بوش الابن وتشيني، وقد اختاروا رئيسا عارض الغزو الامريكي للعراق، ووعد بانهاء الوجود العسكري الامريكي في البلد، ولكنه ما زال يواجه صعوبات في ازالة المخلفات السلبية والاطعاء التي ارتكبتها الرئيس الامريكي السابق والتي ادت الى تشويه سمعة ومكانة امريكا في الشرق الاوسط. وهو الآن يتواجه مع حكومة اسرائيل تتحدى سياساته ودعوته الى وقف الاستيطان وتحقيق السلام العادل في فلسطين وانشاء دولة فلسطينية قابلة للحياة».

واعبرت هوليس ان الغزو الامريكي للعراق في عام 2003 ولأفغانستان، قيل ذلك، لم يحققا اهدافهما وأدى الى تصاعد العنف والطائفية ولم يقضيا على الارهاب، كما وعدا وحملت توني بلير مسؤولية كبيرة في هذا الفشل.

كما قالت في محاضرة ألقاها لتقديم كتابها في المعهد الملكي (تشتاهام هاوس) منذ بضعة اسابيع ان «توني بلير حاول تحسين علاقة وزارة الخارجية البريطانية باسرائيل عبر تظهير هذه الوزارة من المستعربين المتعاطفين مع القضايا العربية والقضية الفلسطينية خلال قيادته للحكومة، آملا تعزيز دور بريطانيا في عملية السلام في الشرق الاوسط، وفي شؤون المنطقة عموما، ولكنه لم يحقق اهدافه».

واضافت هوليس في المحاضرة: «ان مواقف بلير هذه تدفعني الى التعاطف مع احزاب المعارضة (المحافظين وغيرهم) الذين يشيرون الى ان مارغريت تاشر كانت حليفة للرئيس الامريكي رونالد ريغان، ولكنها لم تنطح امامه وامام سياساته في الشرق الاوسط من دون اي انتقاد».

وأوضحت بان «السياسة البريطانية الخارجية خلال تيوو وزير الخارجية الراحل روبن كوك منصبه في حكومة بلير الاولى كانت تسمح لنا كباحثين ومستشارين بالقيام بعلاقات وبمبادرات موضوعية، ولكن بعد استقالة كوك ومن ثمة وفاته، ساءت علاقة بريطانيا بكثير من الدول العربية والاسلامية بعد هيمنة توجه مؤيد بقوة لسياسات امريكا واسرائيل في السياسة الخارجية البريطانية». ولسوء الحظ هذا ما يعاد احياءه في المرحلة الحالية حيث يحيط بغوردون براون اصدقاء ومستشارو توني بلير السابقون، حسب قولها.